المحاضره الثانية

Mona ☺

ثانياً/ تعريف النظرية :

قد يكون من الصعب علينا ان نحصر الكتابات التي تعرضت لتحديد المقصود بالنظرية ومحاولة تقديم تعريف واضح لها ، غير انه من ناحية اخرى يمكن لنا تصنيف هذه الكتابات الى فئات محدده منها :

١- فئة الكتابات التي اهتمت ببيان طبيعة النظرية وتطورها في علم الاجتماع ومنها كتاب نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها الذي ألفه تيماشيف .
٢- فئه الكتابات التي عنيت بتوضيح بناء النظرية في علم الاجتماع ومن بينها كتاب "جراهام كينلوش"
٣- فئة الكتابات التي تخصصت في مناهج البحث العلوم الاجتماعية ومن امثلتها كتاب "كلير سيلز"حول مناهج البحث في العلاقات الاجتماعية .
٤- واخيرا ،فئة الكتابات التي تهتم بتحديد المصطلحات والمفهومات ومن امثلتها قاموس الفلسفة الذي حرره "روزنتال وبادين".

وباستطاعتنا ان نلقي الضوء على تعريف النظرية كما ساد بين هذه الكتابات من خلال الاكتفاء بمثال واحد عن كل فئه من الفئات الاربعة لتلك الكتابات العديده التي اهتمت بموضوع النظرية .

١-يحاول تيماشيف ان يوضح معنى النظرية من خلال عرضه المختصر لبناء اي علم امبيريقي بغض النظر عن موضوع الدراسة الخاص به والذي يذهب فيه الى انه اذا كانت الملاحظة هي اساس كل علم امبيريقي. وانه يتم التعبير عن نتيجة الملاحظة الفردية في صورة قضية واحدة مؤداها ان هذه الظاهره المحدده موضوع الملاحظة قد حدثت في زمان معين ومكان محدد وكانت مثل هذه القضيه تعتبر بمثابة مطلب ضروري لاي علم الا ان هذا النوع من القضايا ليس كافيا في حد ذاته لبناء نظرية العلم .

لانه ينبغي ان تنظم الملاحظات الفردية وهناك اساليب عديدة ومتنوعة لتنظيم هذه الملاحظات بمعنى ان تحدد انماط تضم كل منها عددا من الملاحظات المتشابهة وقد تخضع الملاحظات الفردية للمعالجات الاحصائية مثل التوزيع التكراري والتسلسل الزمني ومعاملات التوافق والارتباط وغيرها او قد ترتب هذه الملاحظات في سياق نشوئي يوضح النمو التدريجي لعمليات معينه مع مقارنة كل هذه السياقات بالاخر من اجل الكشف عن اوجه الشبه والاختلاف بينها ،ويترتب على تنظيم الملاحظات باستخدام واحد من اساليب التنظيم او اشكاله السابقه ما يعرف بالتعميم الذي يوضع في شكل قوانين طبيعة او اجتماعية –حسب مجال الدراسة – تمكن من التنبؤ بنتيجة محددة عندما تتوافر شروط معينه . وتمثل النظرية مجموعة من القضايا التي تتوافر فيها الشروط التالية :

- ينبغي ان تكون المفهومات التي تعبر عنها القضايا محدده بدقة
- يجب ان تنسق القضايا بعضها مع البعض الاخر
- لابد ان توضع القضايا في شكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات اشتقاقا استنباطيا
- ينبغي ان تكون هذه القضايا من النوع الخصب والمثمر الذي يستكشف الطريق نحو ملاحظات ابعد مدى وتعميمات تطور من مجال المعرفة القائمة

أ- المخدرات.الصحه-الاسلام
ب- المخدرات ضارة بالصحة .

الكوكائين من المخدرات (التي تنتشر بالمجتمعات الاسلامية)

الاسلام يدعو الى تجنب مايضر بالصحة

ج- المخدرات محظوره بالدول الاسلامية

د- مكافحة المخدرات ضرورية

أ- كل الفواكه لونها احمر
ب- الموز فاكهة
ت- الموز لونه احمر

هذا الاستنباط صحيح ؟

ولايمكن ان نستقى النظرية من الملاحظات والتعميمات عن طريق استخدام وسائل الاستقراء المضبوطة والدقيقة فقط لان بناء النظرية يعتبر عملا وخلاقا ،يحتاج الى قفزة فيما وراء الادله ، النظرية مهما كان مصدرها لابد وان تخضع للتحقيق .وهي تعد صادقه ومحققه مبدئيا في حالة عدم وجود وقائع معروفة او تعميم قائم يناقضها .

اذا كان هناك ماينا‌قضها فالامر يتطلب رفضها او تعديلها على الاقل .ويعتبر هذا الاختبار مجرد تحقيق مبدئي لانه قد توجد هناك احيانا نظريتان او اكثر تقومان بتفسير الوقائع او التعميمات المعروفه ،الامر الذي يجعلنا نلجأ في هذه الحاله الى استخدام اجراء اخر يعرف بالتجربة الحاسمة او الملاحظة الحاسمة بحيث يمكننا هذا الاجراء من تقرير اي النظريات تتطابق مع الواقع وتتفق معه .

٢-بدأ جراهام كينلوش في كتابه بعنوان "نظرية علم الاجتماع تطورها ونماذجها الرئيسية "، تعريفه للنظرية باستعراض ماهو متاح في التراث من اجتهادات سابقة من بينها تعريف بلالوك بأن النظرية لاتشتمل فقط على الاطر التصورية او الانماط المختلفة والنماذج وانما تشتمل معظمها ايضا على قضايا تشبه القوانين وتربط بين المفهومات والمتغيرات . وكذلك تعريف جيبز بأن النظرية عبارة عن مجموعة من القضايا التي ترتبط منطقيا فيما بينها في صورة تأكيدات امبيريقية تتعلق بخصائص مجموعة محدده من الاحداث او الاشياء.

يمكن النظر الى عدد من الخصائص المشتركة من بينها التجريب والمنطقية والقضايا والتفسيرات والعلاقات وموافقة الدوائر العلمية عليها بحيث يمكن القول بأن النظرية عبارة عن قضايا مجردة ومنطقية تحاول تفسير العلاقات بين الظواهر .

بالنسبة لـ كينلوش هذا التعريف لايعبر عن بناء وتكوين النظرية نظرا للاختلاف على نوع وعدد العناصر التي يشتمل عليها هذا البناء ومع ذلك يمكن تلخيص هذه العناصر على النحو التالي :

أ- يعتبر النموذج القياسي الذي تستند اليه النظرية اول دعامات للنظرية ،ذلك النموذج الذي يشتمل على الصياغة التصورية الخاصة بالظواهرالتي تقوم النظرية بتفسيرها وعلى العلاقات التفسيرية الاساسية التي توضح الاسلوب الذي تعمل بواسطته هذه الظواهر .

وهكذا يتم تحديد الظواهر موضوع الاهتمام على نحو تصوري بينما يفترض جدلا وجود علاقة سببيه اساسية حيث تستخدم مضامين هذه العلاقة في تفسير تلك الظواهر الخاصة بموضوع الاهتمام واذا حدث وان حقق تطوير هذا النموذج القياسي مستوى يفوق مستوى الفروض البسيطة والعامة فإنه قد يصبح نموذجا للعلاقات المسلم بها جدلا والتي تمثل الاساس في البناء الرسمي للنظرية .ومن امثلة النماذج القياسية النظرية يمكن الاشاره الى اطار البنائية الوظيفية وتوجيهات نظرية الصراع ونظرية فرويد الشخصية والتفاعلية الرمزية .

ب- اي نموذج قياسي ينطوي على مفهومات معينه وهي اوصاف او اسماء تعطى لمجموعة ظواهر (مثل الشخصية والطبقة الاجتماعية والنسق الاجتماعي والنظام والحراك الاجتماعي والتغير الاجتماعي) وهذه المفهومات في حاجه الى تحديد واضح والى التدليل على علاقتها بالنموذج القياسي الاساسي .

ث- تحتاج العلاقات المنطقية بين هذه المفهومات الى توضيح بمعنى انه ينبغي الربط بين المفهومات على نحو نظري وتميل مستويات وشكل هذه العلاقات الى التباين فقد تكون بمثابة بديهيات (بمعنى القضايا التي يفترض بأنها صحيحه في ذاتها) ثم القضايا التي تمثل تعبيرات عن العلاقات التي يمكن استخلاصها بين هذه البديهيات او الفروض او تلك التعبيرات عن العلاقات بين المفهومات في شكل اجرائي بمعنى مؤشراتها الامبيريقية واكثر من ذلك قد تكون هذه العلاقات ايجابية او سلبيه او مستقلة عن بعضها الاخر .

ج- تحتاج المفهومات والتعبيرات عن العلاقات الى ان تحدد على نحو امبيريقي او تصوري في صورة متغيرات (مثل اختبارات الشخصية ومقاييس الطبقة الاجتماعية والمقاييس الديموجرافية للنسق الاجتماعي والبناء التنظيمي للنظم ومقاييس معدلات الحراك الاجتماعي والمقاييس الاقتصادية الاجتماعية للتغير الاجتماعي)
ويشتمل كل متغير ايضا على عدد من المؤشرات الامبيريقية التي تحدد بواسطة نوع الاداة المستخدمة في البحث (استبيان – مقابلة ...) والتي يختارها صاحب النظرية ويتمثل الاختلاف الرئيسي بين النظريات العلمية وغير العلمية في المدى الذي أمكن به اختبار هذه النظريات امبريقيا اكثر من الاختلاف فيما بينها في الايديولوجيا او في نسق الافكار وثيق الصلة بكل منهما .

ح- وتشتمل هذه المرحلة على مناهج البحث الامبيريقية لاختبار العلاقات الافتراضية بين المتغيرات والمؤشرات وقد يشتمل ذلك على : مسح للرأي ، وملاحظة بالمشاركة ، وبيانات توفرها المقابلة الشخصية ، والمعالجة الرياضية للمعطيات الديموغرافية او تجارب الجماعة الصغيرة في العمل . وهذه النماذج تحدد الى درجة كبيره طبقا لنوع المتغيرات المستخلصة من بناء النظرية . ومهما كانت نوعية المناهج المستخدمة فهي محكومة بخصائص العينة المتاحة والخطأ في سحب العينة ومستوى الضبط الذي يتوافر للباحث وخطأ القياس وكذلك الخطأ في تحليل البيانات .

خ- عندما يتم جمع البيانات ، ينبغي تحليلها بالرجوع الى الفروض الرئيسية للنظرية وغالبا مايشتمل هذا التحليل على تطبيق للاساليب الاحصائية للاشارة الى مستويات الارتباط والدلالة الاحصائية واذا اسيئ تطبيق هذه الاختبارات وافتقر الى المهاره فانه قد يكون مضلا الى درجة كبيرة واكثر من ذلك فان هذا يعتمد الى حد كبير على نوعية العينه والبيانات المتوافره

د- فور اكتمال تحليل البيانات ينبغي على صاحب النظرية الشروع في تفسير نتائج البيانات بالرجوع الى بناء النظرية نموذجها القياسي الاساسي والبديهيات والقضايا التقريرية والفروض .ولما كانت المناهج الامبيريقية والاختبارات وتحليل البيانات لاتمدنا الا باختبارات غير مباشرة فقط للبناء الاساسي للنظرية فإن الباحث مطالب بأن يكون على درجة عالية من الاحتياط في استخلاص استنتاجاته من بيانات محدودة ومن السذاجة المبالغة في الدلالة النظرية لأي مجموعة من البيانات الامبيريقية مهما كان نطاق هذه البيانات متسعاً .

ذ- في النهاية يسعى صاحب النظرية الى تقويم النظرية في ضوء معيارين اثنين اساسين اولهما : كفاءه ومجال ومنطق بناؤها النظري ، وثانيهما : مستوى امكانية الاختبار والتنبؤ والدقة عند اخضاعها للفحص الامبيريقي .

والمجال مفتوح هنا لعدد من البدائل الممكنه :

- اما استبعاد النظرية كلية
- او تعديل نموذجها القياسي الاساسي
- او تطوير بديهيات اخرى وقضايا تقريرية وفروض

- او استحداث مناهج جديده

ومهما كان الحال يضطر الباحث الى اتخاذ بعض القرارات المتعلقه بالنظرية التي يطورها او يختبرها ولهذا تعد عملية التنظير عملية مستمرة وديناميه وتشتمل على تغير مستمر وتعديل .

والخلاصة ان النظرية تعد بمثابة مجموعة من القضايا التقريرية والمنطقية والمجردة والمقبولة والتي تحاول تفسير العلاقات بين الظواهر .

٢-وهنا نطرح سؤالا وهو :ما الذي يشتمل عليه بناء النظرية ؟

ان بناء النظرية الرسمي يشتمل على ثمانية عناصر رئيسية وهي :

- نموذج قياس
- مجموعة مفهومات
- العلاقة بين المفهومات
- قضايا تعبيرية (بديهيه وقضايا تقريرية وفروض) تتعلق بالعلاقات المنطقية بين هذه المفهومات والقضايا معبر عنها بطريقة اجرائية
- مجموعة المناهج المستخدمة في اختبارالعلاقات الافتراضية
- تحليل البيانات
- تفسير النتائج
- وفي النهاية عملية تقويم البناء الامبيريقي والمنطقي للنظرية في ضوء تحليل البيانات وتفسيرها

ويوضح الشكل التالي العناصر التي يشتمل عليها بناء النظرية ويعبر عن ديناميات عملية التنظير :

٣-اهتمت كليز وزملاؤها من ناحية اخرى في كتابهم عن مناهج البحث في العلوم الاجتماعية بتحديد معنى النظرية فاقتبست تعريف براث وات الذي يرى ان النظرية تشتمل على مجموعة من الفروض التي تكون نسقا استنباطيا .

بمعنى انها تنتظم في ترتيب متتابع فيه بعض الفروض اللاحقه تلحق ببعض الفروض المتقدمة او بعبارة اخرى تعد النظرية بمثابه مجموعه من القضايا التي تنتظم في نسق نمطي ويتتدرج على مستويات :

١- يحتل فيه القضايا او الفروض على مستوى الاعلى مكانه المقدمات المنطقية

٢- وتكون فيه الفروض على المستوى الادنى بمثابة نتائج لما يتقدمها من فروض
٣- وتكون فروض المستوى الاوسط مستنتجه من فروض المستوى الاعلى
٤- كما تكون فروض المستوى الاوسط بدورها مقدمات منطقية لفروض المستوى الادنى
- البطالة تسبب الفقر(أ هي ب)
- الفقر يسبب الانحراف (ب هي ج)
- البطالة تسبب الانحراف (أ هي ج)

٤-يذهب كل من روزنتال وبادين في القاموس الفلسفي الى ان : النظرية تعتبر بمثابة نسق من المعرفه التعميميه وتفسير للجوانب المحتلفه للواقع وانها ترتبط باشياء ومصطلحات اخرى مع انها تختلف عنها في بعض الجوانب والوظائف فهي تختلف عن التطبيق والممارسة لان جوهرها يهتم باعادة صوغ الواقع صوغا عقليا . واذا كانت كل نظرية نسقا او اطارا فكريا فهي نسق معقد اذ يمكن لنا ان نميز في النظريات الفيزيقية بين جزئين او جانبين مكونان لها ، الحسابات الصورية :كالرياضيات والرموز المنطقية ...الخ وبين التفسير الاساسي الجوهري :كالمقولات والفئات والقوانين وما اليها .

اذ من الملاحظ ان هذه المناقشات تقدم لنا اجابات مناسبة على كل مايمكن ان يثار من تساؤلات حول النظرية

- مثل كيف تتكون ؟
- ومما تتكون ؟
- وماهي الشروط التي يجب ان تتوافر في العناصر المكونة لها ؟
- وبماذا تمتازالنظرية ؟ واخيرا لماذا يحرص العلماء على تكوين النظرية ؟

أ-حيث تتفق وجهات النظر كل من تيماشيف وكينلوش على الكيفية التي يتم بها تكوين النظرية ، وكيف ان عملية التنظير عملية معقده ومستمرة ولاتتم بمعزل عن مجموعة المناهج بحيث لاتعد كلا من النظريات والمناهج كيانات منفصله انما تنطوي كل واحده منها على الاخرى ،وينبغي ان تجري عملية التقويم لها معا في نفس الوقت .

تيماشيف يوضح هذه الكيفية من خلال انطلاق العلم من الملاحظه ثم تجميع الملاحظات الفردية واستخلاص نتيجة عامه بطريقه استقرائيه واستخدام اساليب التصنيف والمعالجة الاحصائية وغيرها ثم اختيار صحة هذه النتيجة العامه كفرض مبدئي ثم التوصل الى التعميمات او القوانين .

فإن كينلوش يوضح هذه الكيفيه من خلال انطلاق العلم من النماذج القياسية والتصورات ومحاولة صياغة قضايا تحتاج بعد ذلك الى اختبار ثم تحليل للبيانات وتفسيرها واخيرا تقييم القضايا نظريا ومنهجيا

ب-ثم تتفق وجهات نظر كل من كينلوش وسيلتز وبادين على مكونات النظرية بحيث نجد كينلوش يحصر هذه المكونات في النماذج القياسية ثم المفهومات ثم القضايا المسلمة والفروض .

نلاحظ ان سيلتز تحصر هذه المكونات في نسق القضايا التي تمثل بعضها مقدمات وتعد الاخرى نتائج عامة بينما يردها روزنتال وبادين الى اطار مكون من حسابات صورية ورموز وقواعد وتفسير جوهري : مقولات وقوانين

ج- ثم تتفق وجهات نظر تيماشيف وكينلوش وسيلتز وبادين على الشروط التي يجب ان تتوافر في العناصر المكونة للنظرية اذ يقول تيماشيف انه ينبغي ان تكون مفهومات النظرية محدده بدقة وان تتسق القضايا المكونة لها بعضها مع البعض الاخر

وان تصاغ في شكل يسهل اشتقاق التعميمات بطريقة استنباطية وان تخضع للتحقق الامبيريقي ويؤكد كينلوش ضرورة تقويم النظرية في ضوء معيارين اثنين اساسيين **اولهما :** كفاءة ومجال منطق بناؤها النظري .

وثانيهما : مستوى وامكانية الاختبار والتنبؤ والدقة عند اخضاعها للفحص الامبيريقي . بينما ترى سيلتز انه يجب ان تصاغ النظرية في نسق استنباطي وان نجد تأييدا لها في الوقائع الامبيريقية واخيرا يرى روزنتال وبادين انه ينبغي ان تصاغ النظرية في نسق معقد من المعرفة التعميميه الذي يفيد في تفسير جوانب الواقع .

د- وكذلك تتفق وجهات نظر هولاء العلماء على ان هناك مجموعة من الخصائص التي تمتاز بها النظرية اذ يذهب تيماشيف الى ان النظرية هي البناء الذي يجمع اشتات النتائج المبعثره ويوحد بينها وانها تضم قضايا خصيبة ومثمرة تستكشف الطريق نحو ملاحظات ابعد مدى وتعميمات تطور من مجال المعرفة القائمة .

كما ان هذه القضايا ليست نهائية ويؤكد كينلوش ان قضايا النظرية مجرده ومنطقية وان عملية التنظير عملية مستمرة وديناميةوتشتمل على تغير مستمر وتعديل وهذا هو نفس المعنى الذي اقرته سيلز عندما كانت تقول ان النظرية تتسم بانها اكثر ارتباطا بالوقائع الامبيريقية .

وهي ليست صياغة استاتيكية او نهائية فهي قابله باستمرار للتغيير والمراجعه اما روزنتال وبادين فكانا يريا ان النظرية ترتبط باشياء ومصطلحات اخرى قد تختلف عنها في بعض الجوانب والوظائف مثل المفاهيم والتطبيق والممارسة .

ه- ويمكن ان نلاحظ ايضا الاتفاق بين وجهات نظر هؤلاء العلماء في الاجابة على السؤال : لماذا يحرص العلماء على تكوين النظرية ؟ او بعبارة اخرى ماهي وظيفة النظرية ؟ اذ يكفي ان نذكرمثلا ان تيماشيف كان يرى ان النظرية تمثل ارقى وارفع ما يمكن ان يصل اليه العلم من معرفة يستعان بها في تفسير الوقائع التي يعني بدراستها .

وكذلك يؤكد كينلوش ان وظيفة التفسير تعتبر جوهرية بالنسبة للنظرية بينما ذهب روزنتال وبادين الى ان النظرية نسق يعمل على تفسير الجوانب المختلفه للوقاع وان جوهرها يهتم باعادة صوغ الواقع صوغا عقليا .